التوظيف الحجاجي لأسلوب القصر- نماذج مختارة من القرآن الكريم والحديث الشريف

أ . بن يطو بن عمران

جامعة يحيى فارس . المدية . الجزائر

ملخص:

يتناول هذا المقال الكشف عن تقنية من تقنيات الحجاج المُوظَّفة في القرآن الكريم و الحديث الشريف في سياقات متعددة وهي:" أسلوب القصر"، الذي يندرج ضمن العوامل الحجاجية التي تصنّف ضمن المقاربة اللسانية أو التقنية في الحجاج . و يتطرق إلى تعريف العوامل الحجاجية باقتضاب مع الإشارة إلى مفهوم أسلوب القصر ، و الاقتصار على بعض أدواته اللغوية و بيان أهميتها و دورها في توجيه الملفوظ نحو وجهة محددة يرومها الباثّ ، تؤثر في المخاطَب تأثيرا إقناعيا ، وذلك من خلال التطرق إلى تحليل بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كنماذج وُظِّفت فيها هذه التقنية الحجاجية.

الكلمات المفتاحية : الحجاج ـــ أسلوب القصر ـــ الصرافم (الأدوات اللغوية) ـــ الاستلزامات الخطابية ـــ التواصل.

Abstract:

This article deals with a technique of reasoning (argumentation) used in the Koran and the Hadith in various contexts; such as, the style of restriction which is part of the argumentative aspects, which are in their turn classified according to the linguistic approach and argumentation. We will also define argumentative aspects and the Restriction style focusing on some linguistic tools, its importance and its role in the orientation of the pronounced words launched by the speaker to the hearer in oreder to convince him through the analysis of some Koranic verses and some Hadith used as examples in these techniques of reasoning.

Key words: argumentation, restriction style, linguistic tools, conversational implicature, communication.

التواصل اللغوي بين بني البشر تتعدد أغراضه و تختلف آلياته ووسائله تبعا لذلك، مما جعل المهتمين بتحليل الخطاب بمختلف أنواعه وأشكاله سواء كان دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا ... يعكفون على التنقيب والبحث عن محددات هذه الآليات الكاشفة عن تلك الاستراتيجيات الخطابية التي تفنن أصحابها في حبكها وسبكها فاختلفت بذلك قيمة النصوص و الخطابات تبعا لما تضمنته من تلك الآليات قوة وضعفا. ومن أهم الاستراتيجيات الخطابية: استراتيجية الإقناع التي تتخذ الحجاج وسيلة لها لبلوغ غاية اقتناع المتلقي واذعانه لما يستقبل من خطاب لتوجيه فكره وسلوكه نحو مقصد محدد يريده الباثّ للإقبال عليه و فعله أو اجتنابه و تركه .

واللغة العربية تزخر بآليات حجاجية متعددة ينتقيها الباث لتركيب خطابه تأييدا لدعواه وتحقيقا لمقاصده التي من أجلها أعدّ رسائله اللغوية الظاهرة أو المشفرة والمؤشرة حجاجيا بأدوات لغوية خاصة تساهم في توجيه الخطاب وفق وجهة محددة يهتدي إليها المتلقي بما يملك من كفاءات لغوية فطرية أو مكتسبة .

وقد أشار **أبوبكر العزاوي** إلى أن الوظيفة الحجاجية للغة مُؤشَّر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى، وفي كل الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية و الدلالية . [1] وهذا ما يعني أنّ اللغة بجميع مستوياتها تؤدي الوظيفة الحجاجية بما تضمنته من خصائص تؤهلها لذلك . وصنَّف **عز الدين الناجح** في مقال له الحجاج في ثلاث مقاربات باعتبار الخلفية المعرفية التي يستند إليها منها:

[1] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، منتديات سور الأزبكية ، ط 1، 2006، ص 8.

المقاربة اللسانية للحجاج أو التقنية.[1] التي تتجلى في كتاب " الحجاج في اللغة " **لديكرو** و**انسكومبر** (صدر سنة 1983)، إذ تَعْتَبِر أن اللغة مُشبّعَة بالقيم الحجاجية التي توجد جنبا إلى جنب في دلالة الجمل مع القيم الخبرية وذلك لوجود عوامل حجاجية في بنية الجمل ذاتها.[2]

وقد كشف الباحثون عن هذه التقنيات وصنّفوها ضمن مجموعات من بينها: «الأدوات اللغوية الصَّرفة مثل: ألفاظ التعليل، الروابط الحجاجية، العوامل الحجاجية، التوكيد والتكرار، الأفعال اللغوية ، ألفاظ التعليل ... »[3] ومن الوسائل اللغوية المؤشرة في بنية الخطاب التي تؤدي وظيفة حجاجية **أدوات القصر**، فهي تُصَنَّف ضمن **العوامل الحجاجية** .

وقبل التطرق إلى أسلوب القصر نعرِّج على أهم ما قاله بعض اللسانيين حول تعريف العوامل الحجاجية، نجد من بينهم **شكري المبخوت** الذي يعتبر أن العوامل الحجاجية هي « ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل **الحصر** و**النفي** أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظرفية و" تقريبا " و"على الأقل" ... (فهي تغير) قوّة الجملة دون محتواها الخبري ... ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف

---

[1] عز الدين الناجح، العبقرية الحجاجية في اللغة العربية من خلال دراسة تداولية لسانية لسورة الإخلاص، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 6، ديسمبر 2007، ص 165.

[2] رشيد الراضي، مفهوم الموضع و تطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد 40، ديسمبر 2011، ص 195 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط 1، 2004، ص 477 .

معانيها والأسوار (كل، بعض، جميع ...) و ما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التعليل ... »[1] وهذا الكلام يحدد العناصر اللغوية التي تنتمي إلى مجموعة العوامل الحجاجية ويبرز الدور الذي تحدثه هذه العناصر في تحديد المعنى وإظهار قوته التأثيرية فضلا عن المحتوى الخبري للجمل .

وعرّفها **أبو بكر العزاوي** في سياق حديثه عن الفرق بينها وبين الروابط الحجاجية بأنّ « العوامل الحجاجية، لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما . و تضم مقولة العوامل أدوات من قبيل : ربما ، تقريبا ، كاد ، قليلا ، كثيرا ، ما ... إلا، و جلّ أدوات القصر .» [2] و يتضح من هذا الكلام أنّ ما يميّز العوامل الحجاجية هو أنها تقوم بحصر وتضييق التأويلات والاستلزامات الخطابية للملفوظ نحو وِجهَة محددة تكون ذات طبيعة حجاجية تؤثر في المتلقي، وهنا مكمن أهميتها الحجاجية .

واعتبر **عز الدين الناجح** أنّ « العامل الحجاجي عنصر لساني يصدق عليه تعريف الصرفم، له وظيفة الحدّ من غموض الملفوظ ومن تعدد نتائجه وذلك بتقديم النتيجة الملائمة (للمتلقي) وبالقضاء على كل استلزام لا يعضد النتيجة " ن " وآلية ذلك إنما هو التوجيه الحجاجي لتكون النتيجة واحدة وبذلك يكون هذا التوجيه بمثابة الاختزال ... إذ تجعل (المتلقي) ينصرف إلى نتيجة بعينها غير

[1] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 377 وما بعدها.

[2] أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، ص 25 .

واقعٍ في الاستلزامات اللاحنة حجاجيا ومن هنا تظهر قيمة العامل في الحدِّ من الغموض وتخصيص الملفوظ وتحديده . »[1]

وهذا التعريف الأخير يتوافق مع أسلوب القصر من حيث توجيه معنى الملفوظ نحو نتيجة ملائمة و إبعاد كل التأويلات الأخرى الممكنة من ذهن المتلقي، فالقصر كما حدّده **السكاكي** هو « تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان ... كقولك : زيد قائم لا قاعد ، لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ... وكقولك: ما شاعر إلا زيد، لمن يعتقد زيدا شاعرا، ولكن يدّعي شاعرا آخر ... »[2] و يتجلى أثر أسلوب القصر في إقناع المتلقي والتأثير فيه استنادا إلى تركيب الكلام وذلك كامن في أغراض هذا الأسلوب لأنّ « من أغراض القصر ... أنه قد يُقْصَد به تمكين الكلام وتقريره في الذهن، لدفع ما فيه من إنكار أو شَكٍّ، ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هي للقصر بأدواته ...» [3] وهذا يقتضي أنّ أدوات القصر هي التي تحدد أغراض القصر، فهي تعتبر مؤشرات لغوية ظاهرة في التركيب لها مزية توجيه المعنى المراد .

وبما أن الحجاج يندرج ضمن استراتيجيات الخطاب المُتَبّعَة لإقناع المتلقي وحمله على الإذعان فقد حفل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بآليات إقناعيه

---

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، دار نهى، صفاقس، تونس، ط 1، 2011، ص 61 .

[2] أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلّق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1987، ص 288.

[3] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، طبعة نهاية القرن، 1999، ج 2، الهامش ص 3.

حجاجية متنوعة تخاطب العقول السليمة وتؤثر في المشاعر والعواطف الإنسانية بحُجَج ومبادئ فطرية لترسيخ العقيدة الإسلامية ونبذ العادات والتقاليد الجاهلية المتنافية مع الفطرة الربانية. فقد ذكر محمود يعقوبي مجالات الحجّة القرآنية وخصص لها فصلا كاملا ضمن كتابه المنطق الفطري في القرآن الكريم ومنها جدال الأنبياء مع أقواهم الذين يدعونهم إلى عقيدة الله وشريعته باستعمال التنبيه والإقناع لبيان فساد ما أَلِفوا من عقائد وعادات. « ولا يمكن للأنبياء في هذا المجال أن يلجأوا في التنبيه والإقناع إلى غير القدرات العقلية الفطرية، التي يشترك في امتلاكها عامة الناس .» [1]

ومن الآليات الإقناعية التي نجدها في بناء الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف استخدام أسلوب القصر في مواطن كثيرة نذكر منها ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ومن يَّنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّ اللهَ شَيْئًا** ﴾ آل عمران 144

في هذه الآية قصر موصوف (محمد) على صفة الرسالة لينفي عنه الخلود وعدم الموت، ذلك أن هذه الآية تشير إلى ما حصل في غزوة أُحُد حينما شاع خبر قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم « فوقع بين المسلمين اضطراب، فقال المنافقون : لو كان نبيّا ما قتل، فارجعوا إلى دينكم القديم ... وهذا الكلام

[1] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية ، بن عكنون، الجزائر، 2000، ص 50.

مسوق لردِّ اعتقاد من يعتقد انتفاء خُلُوِّ الرسل من قبْلِه ...(وهو) حال من يتوهم التلازم بين بقاء الملّة و بقاء رسولها، فيستدل بدوام الملّة على دوام رسولها، فإذا هلك رسول ملّة ظنّوا انتهاء شرعه و إبطال اتّباعه .» [1] و واضح أن هذا الاستدلال باطل لا أساس له من الصحة لأن قصص الأنبياء السابقين التي ذاعت بين الناس لم تنقل إلينا بقاء الأنبياء أحياء بين أقوامهم بل ماتوا كما لم يبق أحد من أقوامهم أبد الدهر لأنهم بشر.

و يمكن استخلاص صورة الاستدلال المنطقي لهذه الحجة كالآتي:

لا خلود لبشر فكل بشر يموت.

والرّسُل عليهم الصلاة و السلام بشر.

إذن **ما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل** ينتفي عنه الخلود فهو ميّت لا محالة. « فسيَخْلُو كما خَلُوا، وكما أنّ أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم، فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه.» [2] فلو ورد الملفوظ مجرّدا من أداة القصر بهذا الشكل : " محمد رسول " لأفاد الإخبار والإعلام دون القصد الحجاجي الذي يقصر معنى الملفوظ على نتيجة واحدة دون غيرها من احتمالات التأويل و مقتضيات الفهم المستخلصة من تركيب الملفوظ .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 4، ص 110 و 111.

[2] جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تعليق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 3، 2009، ص 198.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ **وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمُ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾ الجاثية 24 .

أورد هذه الآية محمود يعقوبي عند حديثه عن مجالات الحجة القرآنية التي تستند إلى المنطق الفطري، منها : مجادلة الملحدين الذين أنكروا وجود الله، من حيث أنكروا البعث .[1]

يتضح من قولهم " ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا " إنكار البعث والنشور لاقتصار وجودهم في الحياة الدنيا موتا وحياة، وهؤلاء يلقبون بالدهريين. فهم يعتقدون أنّ « مرور الزمن مع حركة أجزاء الكون، هما المسببان في الدهر لإهلاك الأحياء، (كما يعتقدون) أن الدهر هو الذي به تكون كل أحداث الكون، ومنها وجود الحياة في الأحياء ... إنّ مقولة الدهريين طرح احتمالي لا دليل عليه مطلقا، لا من العقل، ولا من المشهود في الكون المدرك بالحواس ... ولا من خبر صحيح يجب عقلا التسليم به، فلم يبق لهم إلا الظن التَّوَهُّمِي الضعيف الذي لا يعتمد عليه ذو رأي سديد ، و فهم رشيد .»[2]

فلو قالوا : هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا، و يهلكنا الدهر لما تضمن قولهم هذا بعدا حجاجيا ينافح عن اعتقادهم الباطل سالف الذكر، ولكان مجرّد إخبار عن حالة كونية يعيشها الإنسان لا تتعدى إلى الكشف عما يندس وراءه من اعتقاد

---

[1] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 55.

[2] عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر . تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 1، 2000، ج 13، ص 119.

فاسد. وهنا نستشف الدور البارز الذي يلعبه أسلوب القصر في الحجاج بأدواته المعروفة والتي حددها البلاغيون وصنّفوها و بيّنوا أنواعها.

واستدل محمود يعقوبي بهذه الآية الكريمة أيضا عند حديثه عن الجدال بالمنع في القرآن الكريم، حيث اعتبر أن أوضح أعمال الجدال، الامتناع عن تصديق الدعوى، وأن القرآن الكريم في مجموعه، سلسة من ضروب المنع لمختلف العقائد الفاسدة. لأنّ أصحابها لا يستندون إلى دليل. « وقد ردّ(القرآن الكريم) هذه الدعوى في عدّة آيات تبين أن حركات الموجودات في العالم، إذا كان بعضها يفسِّر بعضها الآخر تفسيرا مباشرا، فإنّ بداية الحركة تبقى بلا تفسير ، وتناسب الحركات وانتظامها يبقى هو الآخر بلا تفسير. إذ لا حركة إلاّ بمحرك، ولا انتظام إلا بمنظم، تطبيقا لمبدأ العلية الذي يحذر الملحدون تطبيقه تطبيقا كاملا ... بسبب الخوف من نتائجه اللازمة.»[1]

ومن النماذج القرآنية التي يظهر فيها أسلوب القصر موظفا توظيفا حجاجيا الآية الآتية :

قوله تعالى: ﴿ **وَ الذِينَ اَتَّخَذُوا مِنْ دُنِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ الزمر 3

برّر المشركون سبب عبادتهم للأوثان بأنّها تقرّبهم إلى الله زلفى وقصروا تلك العبادة على ذلك السبب فقط دون غيره، وهذا في تصورهم دليل مقنع يستندون إليه ليحاجّوا به غيرهم بأنهم على حقّ، فعبادة الأوثان والأصنام رغم تعددها ليست

[1] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 65.

لذاتها وإنما لأنها السبيل الوحيد الذي يقرِّبهم إلى الله تعالى زلفى، فلا مجال لجدالهم (حسبهم) ما دام هذا غرضهم من عبادتها دون سواه . جاء في الكشاف أنّ المسلمين كانوا « إذا قالوا (للمشركين): من خلق السماوات والأرض أقرّوا وقالوا: الله، فإذا قالوا لهم: فما لكم تعبدون الأصنام قالوا: ما نعبدهم إلاّ ليقربونا إلى الله زلفى.»[1] وهذا حجاج بين خصمين كلٌّ منهما يريد إقناع الآخر بما أُتِيَ من حجّة.

وعلّق محمود يعقوبي على اعتقاد المشركين هذا بأنه « قائم على تصور ناقص للألوهية إذ أنّ أعظم الآلهة لا يؤثر إلا بواسطة أصغره وأصغرها لا يؤثر إلا بإذن أعظمها ... فجاء القرآن ليمنع هذه الدعوى التي لم يقدّم أصحابها دليلا عليها إلا تصورهم الألوهية على غرار تصورهم للسلطة بينهم، والآلهة على غرار تصورهم لأصحاب السلطة. فوصفوا الآلهة بصفات البشر الناقصة .» [2]

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَ إِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الَارْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ البقرة 11

يظهر في هذه الآية الكريمة جدال بين المؤمنين والمنافقين حسبما يتضح من السياق السابق لها. فالمؤمنون ينهونهم عن الفساد في الأرض لأنهم يرون أعمال المنافقين مخالفة لشرع الله، والمنافقون يردّون عليهم بحجّة يعتقدون جازمين أنّ ما يفعلونه كله إصلاح. وعلّق **عز الدين الناجح** على هذه الآية الكريمة مبينا أن كلام المنافقين هذا له نتيجة واحدة لا ثانية لها من حيث البنية اللغوية هي: إننا

[1] جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 933 .

[2] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 66 .

لسنا مفسدين، فقد وردت "إنما" ها هنا في سياق حجاجي بعد قول المؤمنين للمنافقين: « لا تفسدوا في الأرض » فما كان من المنافقين إلا أن ردّوا بقلب رأي خصومهم و ما كان هذا القلب ليعبر عنه بغير " إنما " لهذا قال عنها ابن عاشور « أفادت قصر الموصوف على الصفة ردّا على قول من قال لهم لا تفسدوا. »[1] واستعملوا " إنما " لردّ دعوى المسلمين الذين نهوهم عن الفساد في الأرض «لتدلَ على أنهم حين ادّعوا لأنفسهم أنهم مصلحون، أظهروا أنهم يدّعون في ذلك أمرا ظاهرا معلوما ... و جاء في الكشاف ... إنما لقصر الحكم على شيء ... أو لقصر الشيء على حكم ... و معنى (إنما نحن مصلحون) إن صفة المصلحين خلصت لهم، وتمحّضت من غير شائبة قادح(ة) فيها من وجه من وجوه الفساد.»[2]

وبيَّن **عزّ الدين الناجح** أهمية الصرفم " إنما " و دوره الحجاجي حيث اعتبر دخوله على الجملة يجعلها جملتين هما :

1 . نحن مصلحون .

2 . لسنا مفسدين كما تدّعون.

وهو ما يضفي على الكلام طابعا حجاجيا واضحا، في حين أن غياب " إنما " يجعله لمجرد الإبلاغ والإعلام وتكتفي اللغة بوظيفتها الإعلامية La

---

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص283، وعز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 55 .

[2] فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 2000، ج 1، ص 331.+ جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 44 .

fonction informative ولا تتعداها إلى الحجاجية L'argumentativité ، كما أشار إلى أن غياب هذه الصرافم (العوامل الحجاجية) يجعل الكلام وصفا لما هي عليه الأشياء في الواقع فقط " نحن مصلحون " وليس عملا قوليا مفيدا معنى نقلب رأيكم، أو ننفي أطروحتكم أو ندحض ما تدّعون ...[1]

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ 186 و 187 من سورة الشعراء.

احتج هؤلاء على رسولهم بصفته البشرية التي يماثلهم فيها، وهذا يقتضي في نظرهم أنه ليس نبيا وليس بإمكانه فعل شيء خارج عن نطاق قدرته البشرية لذا تحدَّوه بإسقاط العذاب عليهم ليعرفوا مدى صدقه وليثبت لهم بذلك قدرة تفوق القدرات البشرية المعروفة عندهم بما هم بشر .

واستشهد محمود يعقوبي بهذه الآية عند حديثه عن الجدال بتعليل الحكم وأشار إلى أنها تُعبِّر عمّا « وقع لشعيب عليه السلام مع قومه حين أمرهم بتقوى الله ... وعدم الإفساد في الأرض، وتوعدهم بالعذاب إن هم لم يصدقوه ... فقالوا له إن كنت صادقا فيما تقول، فأنزل علينا العذاب، وجعلوا نزول العذاب بهم علّة تصديقهم إيّاه. فيكونون قد علّقوا حكم التصديق بعلة تقتضي نقيض التصديق. وهذا لشدّة تعنتهم وإصرارهم على الكفر .»[2]

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 56 .

[2] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 100.

ونقل **عز الدين الناجح** قول الجرجاني في التعليق على اعتراض الكفار على أنبيائهم في قوله تعالى: ﴿ **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾ سورة إبراهيم 10. « قال إنما جاء . و الله أعلم . بـ " إنْ و إلا " دون " إنما " فلم يقل : " إنما أنتم بشر مثلنا " لأنهم جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوّة قد أخرجوا أنفسهم عن أن يكونوا بشرا مثلهم، وادّعوا أمرا لا يجوز أن يكون لمن هو بشر. ولمّا كان الأمر كذلك أُخْرِجَ اللّفْظُ مُخْرَجَه حيث يُرَادُ إثبات أمر يدفعه المخاطَب و يدّعي خلافه .» [1] و يبين كلام **الجرجاني** هذا الفعل الحجاجي الذي يتضمنه الملفوظ ويظهر ذلك في قوله : " لمّا كان الأمر كذلك أُخْرِج اللفظ مُخْرَجه حيث يُراد إثبات أمر يدفعه المخاطَب ويدّعي خلافه " وهذا يدل على مناسبة المبنى للمعنى المقصود من الكلام حيث أن صياغة المبنى يتجلى فيها إثبات الأمر الذي يرفضه المخاطَب و يدعي نقيضه و كأنه مقارعة الحجة بحجة أقوى في نظر الباثّ تدحض حجة الخصم و هنا يتجلى الفعل الحجاجي لأدوات القصر بمختلف أشكالها .

ويمكن أن نستنتج الصورة المنطقية للشبهة التي أنكر القوم بها نبوّة هذا النّبي عليه السلام هي:

لا بشر نبيئ، وأنت بشر، إذن فلست نبيئا. [2]

---

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص60 + عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ط 3، 1992، ص 333.

[2] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 124.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنّ وَ قُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** 31 **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾ سورة يوسف 31 .

وقصة هذه الآية تبرز الجدال الذي جرى بين امرأة العزيز ونسوة من المدينة يَلُمْنَها لمراودتها لفتاها كما يتضح من السياق السابق لهذه الآية فأرادت أن تقيم عليهن الحجّة وتبعد عن نفسها اللوم والعتاب الذي طالها من قِبَلِهنّ فأحضرتهن لتختبرهن ـ والتجربة أصدق برهان كما يقال ـ فلمّا خرج عليهن أعْظَمْنُه ونفينَ عنه صفة البشرية وجَزَمْنَ بأنه مَلَكٌ كريم لذلك "**قُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ." والقصة مبسوطة في كتب التفسير بالتفصيل .

واستدل بهذه الآية **عز الدين الناجح** على دور العوامل الحجاجية (التي يندرج ضمنها أدوات القصر) في توجيه الملفوظ والتغيير الذي تُحْدِثُهُ في مستوى المعنى مستشهدا بقول **جاكبسون:** « إنّ كلّ تغيير في المقولات النحوية وبالتالي في الابنية اللغوية هو تغيير حامل لمعلومات دلالية.»[1]معتبرا أن هذا التغيير في المقولات النحوية هو لبّ عملية التوجيه التي تكون بالعوامل الحجاجية. وهذا يطابق ما قاله العلماء العرب قديما كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى. ووضّح ذلك بالمثال الآتي :

---

[1] (Roman) : Essais de linguistique général ; traduit et préfacé par ; Nécolas Ruwet Jakobson, tome 1 202 , (éd .) Minuit , 1963 . نقلا عن عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 63 .

.

ق 1 . هذا مَلَكٌ .

ق 2 . **إنْ هذا إلاّ مَلَكٌ كريم** - سورة يوسف 31.

وبيّن أنّ الملفوظ الأوّل ق 1 خالٍ من كل عامل حجاجي، فهو قائم على الإثبات المحض الذي لا يتجاوز طاقته الإخبارية الإبلاغية ، حيث لا يروم الباثّ من ملفوظه سوى إعلام (المخاطَب) بأن المشار إليه "ملك" إلا أنه اعترف بالطاقة الحجاجية للكلمة الواحدة حيث وجد أن كلمة " مَلَكٌ " توحي باستلزامات عديدة ناتجة عن الحمولة الدلالية المشحونة في المفردة في مستواه المعجمي فما دام من الملائكة فهو يحتوي على صفات " الملائكة " أي تنطبق عليه بعض صفات الملائكة إنْ لم نقل كلّها فهو تقي، نقي، صادق، لا يرتكب الكبائر ... وهو ما يؤيّد القول بأن اللغة بجميع مستوياتها ذات طابع حجاجي بلا منازع .

أما الملفوظ الثاني: ق2 اعتبره أرقى حجاجيا لاحتوائه على عاملين حجاجيين هما: الصفة والحصر فهما يضيّقان من تعدد النتائج المستفادة من الملفوظ ويجعلان المخاطَب مباشرة في وجهة حجاجية وأمام نتيجة واحدة هي أنّ هذا الفتى ليس بشرا لأن جماله فاق كلّ جمال و نعته بالصفة الملائكية ينفي عنه القذف بالتهم التي لا تليق بمقامه .[1].

ويمكن استنباط صورة الاستدلال المنطقي في هذه الآية الكريمة كالآتي:

الملائكة الكرام أجمل خلق الله .

ويوسف عليه السلام أجمل البشر.

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 63 و 64.

إذن يوسف عليه السلام مَلَكٌ كريم.

كانت هذه بعض النماذج للتوظيف الحجاجي لأسلوب القصر في القرآن الكريم وتوجد آيات كثيرة تضمنت أسلوب القصر لذات الغرض لا يتسع المقام لذكرها هاهنا .

أما ما تعلّق بالأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة تربو عن الحصر التي وُظِّفَ فيها أسلوب القصر، فقد « استخدم رسول الله صلى الله عليه و سلم أساليب لغوية متعددة في خطابه مع الآخر تتناسب مع الموضوعات التي جَسَّمَتها للتأثير في المتلقي والانتقال به من دور المُسْتمِع إلى المُنصِت المُدرِك إلى المُقتنِع بالفكرة إلى المُنفِذ لها .» [1] منها توظيف أسلوب القصر كآلية حجاجية فاعلة ومؤثرة.

ومن الأحاديث التي يتجلى فيها التوظيف الحجاجي لأسلوب قصر ما يلي :

الحديث1: عن حُمَيْد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية رضي الله عنه عامَ حَجَّ على المنبر و تناول قُصَّةً من شَعْرٍ كانت في يَدِ حَرسِيٍّ فقال يا أهل المدينة أين علماؤكم ؟ ! سمعت النبيَّ صلى الله عليه و سلم ينهى عن مثل هذا. ويقول : «**إنّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هذه نِسَاؤُهُم.**» متفق عليه .[2]

---

[1] فوز سهيل كامل نزال، التكرار في طائفة من أحاديث الرسول ﷺ دراسة وظيفية أسلوبية لأسلوب من أساليب الإقناع في الخطاب النبوي ، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد 7، العدد (1/أ)، 2011، ص 163.

[2] الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، الحديث رقم : 2 / 1643، ص462 . رواه البخاري في اللباس (باب وصل الشعر) رقم (10 / 373 . فتح) ، ومسلم في اللباس والزينة (باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة) برقم (2127) . صحيح مسلم ، ص 880 ذكره بروايات متعددة .

نلاحظ أنّ العامل الحجاجي " إنما " في هذا الحديث و جّه الملفوظ وجهة حجاجية محددة حيث أفادت حصر سبب هلاك بني إسرائيل في اتخاذ نسائهم وصلة الشعر المستعار، وفي هذا الأسلوب تحذير شديد لِمَنْ قلّد هذا العمل بأنه سيلقي نفس المصير، وهذه حجّة مقبولة يقبلها العقل الفطري لأنّ ما كان سببا في هلاك الغير سيكون سببا لإهلاك من سلك مسلكهم ذلك لأن نتائج تحكيم « العقل السليم لا (تختلف) باختلاف الزمان و المكان .»[1] وما يؤثر في المتلقي هو أسلوب عرض الخطاب الذي ينتقيه الباثّ، فقد « جاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم محصّنا بالتوكيد الذي يؤكد الحكم ، و يؤكد الخبر الذي كان سببا في هلاك بني إسرائيل وهو اتخاذ نسائهم للشعر المستعار، والتأكيد جاء بـ "إنّ" المقترنة بـ "ما" ،...وهي تفيد **القصر** ، وكأنّ هذا التركيب اللغوي إيحاءٌ بإحباط عمل بني إسرائيل، وبأنه كان الطريق لهلاكهم، وقال العلماء: فيه حسن التحذير فإنّ السعيد من وُعِظَ بغيره .»[2] و يتمثّل الدور الحجاجي الذي تقوم به « " إنما " بإدخالها على النواة (أنّها توجِّهُ) الملفوظ نحو نتيجة محددة ضيِّقة ...وهي النتيجة التي يروم الباث إيصالها (للمتلقي) الذي يتوهّم (نتائج أخرى) .»[3]

وصورة الاستدلال المنطقي في هذا الحديث كالآتي :

بمأنّ **إِنّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هذه** (خصلة الشعر المستعار) **نسَاؤُهُم** .

---

[1] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 61.

[2] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي، وآخرون، كنوز رياض الصالحين، دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية، ط 1، 2009، ج 19، ص 412 .

[3] عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 54.

فإن اللاتي يتخذن هذا الشعر المستعار يكن متشبهات ببني إسرائيل .

إذن فسيكون مصيرهم الهلاك كما **هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هذه نِسَاؤُهُم** .

وهو قياس مبني على مبدأ التماثل لأن « المماثلة في الطبيعة تقتضي المماثلة في الحكم »[1].

الحديث 2: عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « **إنّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَ لا القَذَرِ ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم.[2]

فملفوظ هذا الحديث من حيث البنية اللغوية يوجه الكلام إلى نتيجة واحدة ويلغي ما عداها من استلزامات خطابية متوقعة ، فالعامل الحجاجي " إنما " هو الذي قام بتوجيه الملفوظ وِجْهَة محددة وهي قصر وظيفة المساجد في " ذكر الله وقراءة القرآن "واستبعاد كل ما يتنافى وهذه المهمة الشريفة، فلو وردت صيغة الحديث بهذا الشكل " هذه المساجد لذكر الله وقراءة القرآن " لَمَا أفادت منع غيرها من الوظائف الأخرى كالتجارة مثلا .

---

[1] محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ص 132.

[2] الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، رقم 3 / 1695 ، ص 473. رواه مسلم في كتاب الطهارة (باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد) برقم 285، صحيح مسلم، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، 1998، ص 137 .

كما اشتمل هذا الحديث على وسائل لغوية متعددة تساهم في تأكيد المعنى وتحديده، وإبرازه، فهو « يبدأ بالتأكيد في جملته الأولى وهي: جملة اسمية تعطي دلالة الاستمرار و الثبات فالمساجد في كلّ عصر، وفي كل مكان لها حرمتها ومهابتها، ... واسم الإشارة في قوله " هذه المساجد " يفيد التحديد، والتمييز الكامل، ولم يقل " إنّ المساجد" ، ولكن قال : " إنّ هذه المساجد "، و "ال" في المساجد للجنس أي كل مسجد ، ... " لا تصلح لشيء من هذا " ... المضارعية تفيد استمرار المحافظة على المساجد ... التعبير بقوله : "لشيء" يرشد إلى وجوب صيانة المساجد من القاذورات والبول مهما قلّ أو كان ضئيلا لأنّ النجاسة قليلها مثل كثيرها. ... " من هذا البول " لمزيد من التحديد عن طريق اسم الإشارة، وهو هنا ليس للتمييز ولكن للتحقير والتنفير، ... و الجملة الثانية في الحديث ، تجيب على سؤال ينشأ في الذهن الخالي من المعرفة: لأيّ شيء تصلح المساجد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . موضحا وظيفة المساجد ودورها في الإسلام . : " إنّما هي لذكر الله، وقراءة القرآن ...»[1] وهذه الوسائل اللغوية تحاصر ذهن المتلقي بما تحمله من دلالات وما تقتضيه من معانٍ لا مناص من ردّها أو معارضتها بما يناقضها، فالرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة لذا كان تعبيره يستوفي مقصوده بِشَحْنِهِ حمولة دلالية متناهية الدّقة تُجَلِّيها بِنْيَاتٍ لغوية تناسب المقام .

وصورة الاستدلال المنطقي في هذا الحديث كالآتي :

---

[1] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي، وآخرون، كنوز رياض الصالحين، ج 20، ص 98 و99 .

بمأن **المساجد إنما هي لذكر الله تعالى، و قراءة القرآن** وهذا يقتضي تشريفها وتنزيهها لكن هذا البول و القذر يتنافى وهذا العمل الشريف المنزه إذن **فالمساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر.**

الحديث 3 . عن بريدة رضي الله عنه أنّ رجلا نَشَدَ في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « **لا وَجَدْتَ ، إِنَّمَا بُنِّيَتْ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَه** .» رواه مسلم.[1]

يدعم هذا الحديث مضمون الحديث السابق إذ يوجه العامل الحجاجي " إنما " الملفوظ إلى نتيجة واحدة تقصر دور المساجد للغرض الذي بنيت له، فالناس في بداية بناء المساجد بعد الهجرة لم يفقهوا دورها في المجتمع الإسلامي لأنّه حدث جديد في حياتهم، واعتقدُ أن هذا الحديث جاء بعد أنْ بيَّنَ الرسول صلى الله عليه وسلم الأعمال التي يصلح لها المسجد كالحديث السابق وغيره، فـ« الجملة الأخيرة في الحديث تتسم بالإيجاز والإيحاء و الإشعاع الدلالي والبلاغي . حيث جاء في أسلوب القصر وهو للحصر و الاستقصاء عن طريق " إنما " ومع القصر التأكيد، والإيجاز ...في قوله :" إِنَّمَا بُنِّيَتْ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَه "، أي من الصلاة والذكر ونشر العلم ...» [2] وهذا التوجيه الحجاجي للملفوظ يقصر دور المسجد

---

[1] الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، رقم 3 / 1698، ص 474. رواه مسلم في كتاب المساجد (باب النهي عن نشد الضالة في المسجد) رقم 569، صحيح مسلم، ص 225.

[2] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي، وآخرون ،كنوز رياض الصالحين، ج 20، ص 125 .

في هذه المهمة فحسب ويقتضي أنها « بنيت لمصالح المسلمين في الدنيا والآخرة، فلا يجوز تحويلها لمصلحة شخص...» [1] .

كما يُظْهِر لفظ الحديث رفض الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الفعل الذي لا يليق بالمسجد في أبلغ عبارة تبين أسرار البناء اللغوي في الحديث الشريف وذلك في قوله " لا وجدت " تتضمن هذه « العبارة إيجازا بالحذف، والتقدير لا وجدت " الجمل الأحمر " و كأنّ هذا الحذف اللغوي إيذان باستجابة الدعاء على الرجل، وأن يظلّ الجمل مفقودا في الحياة المادية، كما هو غير موجود في البناء اللغوي، وذلك من الأسرار الكامنة في كنوز السنة النبوية.» [2]

ويمكن أن نصوغ صورة الاستدلال وتقديم الحجة في هذا الحديث كالآتي:

بمأن **المساجد إنما بنيت لذكر الله تعالى ، و قراءة القرآن** " حسب الحديث السابق " وإنشاد الضالة في المسجد ليس من ذكر الله تعالى إذن المساجد لم تبنَ لإنشاد الضالة فيها، فحُقّ لنا أن ندعو على منْ ينشدها في المسجد بألاّ يجدها كي يرتدع عن هذا الفعل مرّة أخرى، ولا يُقْدِم السامع على هذا العمل مستقبلا.

الحديث 4 ـ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« ما كان الفُحْشُ في شَيْءٍ إلا شَانَه، وما كان الحَيَاءُ في شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ »** رواه

---

[1] أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، ج 3، ص 193.

[2] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي، وآخرون ،كنوز رياض الصالحين، ج 20، ص 125 .

الترميذي. وقال حديث حسن.[1] في هذا الحديث نجد التركيب اللغوي " ما ... إلاّ " وهو عامل حجاجي يوجه محتوى الملفوظ نحو نتيجة واحدة يقتصر عليها ويلغي ما عداها من الاستلزامات المستنتجة من مضمون الخطاب، حيث جاء أسلوب الحديث « في صيغة :"القصر" عن طريق النفي والاستثناء، وهذا القصر يفيد الحصر، وذلك يدعو إلى مزيد من تجنب الفحش، لأنّ العيب في الأشياء و قبحها مرتبط بالفحش، ومقصور عليه. وأمّا الحياء : فأسلوب القصر يؤكد التمسك بهذه القيمة الأخلاقية والسلوكية، لأنها من مظاهر الجمال والتحضر في السلوك الاجتماعي، وكلمة في "شيء" توحي بالتقصي، وعدم ترك أي مظهر : حركة أو فعلا أو قولا، إلا كان الجمال في مصاحبة الحياء قرينا لذلك السلوك .»[2] فلو ورد ملفوظ الحديث عاريا من العامل الحجاجي " ما ... إلاّ " كقولنا : (الفحش يشين الأشياء والحياء يُزيّنها) لفقد الملفوظ بُعْده الحجاجي لأنه لا يقتضي ذلك التلازم الموجود في التركيب اللغوي السابق، وبالتالي يدخل « في زمرة الملافيظ الإبلاغية (الإخبارية) بحيث يصبح مجرّد وصف للكون .» [3]

---

[1] الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، رقم: 2 / 1735، ص 483. رواه الترميذي في أبواب البرّ و الصلة (باب ما جاء في الفحش والتفحش) رقم 1981 سنن الترميذي، اعتنى به صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005، ص 583. وهو حديث صحيح أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (601).

[2] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي، وآخرون، كنوز رياض الصالحين، ج 20، ص375 و376 .

[3] عز الدين، الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 58 .

ومن صور القصر الموظفة في الحديث الشريف المصنفة ضمن العوامل الحجاجية التركيب الآتي : " ليس ... إلا " الذي اعتبره **عز الدين الناجح** « ضرب ثانٍ من الصرافم المحققة للعاملية الحجاجية وهو ضرب خاص لأنه يتركب من صرفمين (أداتين) الأوّل يفيد النفي والثاني يفيد الاستثناء. ولقد أجمع النحاة وأهل المعاني أن هذا الضرب من الصرافم (الأدوات) يفيد معنى" إنما ". »[1]

ومن الأحاديث التي يتجلى فيها هذا الأسلوب الحديث الآتي:

الحديث 5: . عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: « **لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وهو يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ**،...» متفق عليه.[2].

نجد في هذا الحديث التركيب " ليس ... إلاّ " قد لعب دورا حجاجيا لأنه يوجّه محتوى الكلام من مستوى الإبلاغ إلى مستوى آخر يقصد من ورائه الإقناع لأنّ « دخول صرافم (الأدوات) من قبيل " ما ... إلاّ " أو " إنْ هو ... إلاّ " أو " ليس ... إلاّ " على ملفوظ ... من شأنها أن تخرجه من الإبلاغية l'informativité أي من مستوى الوصف والإبلاغ إلى الحجاجية حيث تكون

[1] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 60 .

[2] الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، رقم : 4 / 1805، ص 502. رواه البخاري في كتاب المناقب (باب حدّثنا أبو معمر...) أخرجه البخاري (539/6 . فتح)، ومسلم في كتاب الإيمان (باب بيان حال من رغب عن أبيه)، رقم 61، صحيح مسلم، ص 56 و 57.

العوامل المذكورة موجهة لبقية الخطاب نحو نتيجة بعينها وهذه النتيجة أو الاستلزام أو المفهوم واحد في جميع الحالات.» .[1]

وبتطبيق هذا على ملفوظ الحديث يتبين أن من انتسب إلى غير أبيه متعمِّدا دخل في دائرة الكفر (الكفر بالنِّعم) لا محالة، وهذا من شأنه إقناع المسلم بالابتعاد عن هذا الفعل لأن الكفر بالنعم يسلبها من صاحبها مهما كانت مكانته ومهما عمل من طاعات وعبادات(و الله أعلم) وذلك حسب ملفوظ الحديث، وظاهره يوحي بالردّ عن سؤال ضمني تقديره: ما شأن من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلمه ؟ فجاء الردّ بهذا الأسلوب الذي يقطع السبل أمام كلّ مدّع، و يزيل الشك من ذهن الذي يريد الإقدام على هذا الفعل الفظيع لأنه سيُحْرَمُ من بعض ما أنعَم الله تعالى عليه، وهو ما يخشاه المسلم وهذا ما يمثّل أقوى رادع في النهي عن ارتكاب الجرم .

فهذا « الحديث في مبناه يفصح عن معناه، وأسلوبه الرصين يضيء كثيرا من مقاصد معناه المبين ... الجملة الأولى يغلفها أسلوب القصر عن طريق النفي بـ " ليس "، والاستثناء بـ " إلاّ" ... وهذا القصر مع بلاغته وإفصاحه عن طبيعة هذا الجرم الذي ارتكبه ذلك الدعيّ يتضمن بعض السمات البلاغية في داخل هذه الجملة : ومنها " من " الزائدة ... للتأكيد و الاستقصاء : فأيّ رجل مهما كان شأنه وسلطانه يدّعي لغير أبيه فهو كافر، وتنكير كلمة "رجل" للشيوع والعموم ، وقد

[1] عز الدين، الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 61.

يكون للتحقير، لأن من يدّعي لغير أبيه لا يستحقّ التكريم.»[1]وذلك لما يترتب عن هذا الجرم من مفاسد عظيمة متعددة الجوانب مرتبطة بالنسب وما ينجر عنه من إرث و حرمة الزواج وقطع صلة الرحم وعقوق الوالدين وضياع حقوقهم ... لذلك « يزاد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك .»[2]

الخاتمـــة :

من خلال ما سبق يظهر جليا الدور الحجاجي الذي يؤديه أسلوب القصر في الملفوظ، ذلك أنه يوجه معنى الكلام نحو نتيجة واحدة ويقصره عليها دون غيرها من الاستلزامات الخطابية المحتملة فهو يثبت أمرا وينفي ما عداه بتعبير البلاغيين القدماء الذين توسعوا في تحديد أثر أسلوب القصر في الكلام، ويأتي على رأسهم **الجرجاني** الذي وضّح الدور الحجاجي لأسلوب القصر في عبارة موجزة أشرنا إليها فيما سبق وهي قوله: « لمّا كان الأمر كذلك أُخْرِجَ اللّفْظُ مُخْرَجَه حيث يُرَادُ إثبات أمر يدفعه المخاطَب و يدّعي خلافه . » وقد كثر استخدام هذا الأسلوب في القرآن الكريم لما له من أهمية بالغة في الإقناع، كما نجده موظّفا في الحديث الشريف لذات الغرض.

---

[1] حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، رئيس الفريق العلمي، وآخرون، كنوز رياض الصالحين، ج 21، ص 287 .

[2] فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين، تح .عبد العزيز بن عبد الله، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط 1، 2002، ص 1020.